الوَحي بين الرُّؤية الإسلاميّة والرُّؤية الاستشراقيّة

دراسة تقويميّة لمباحث الوحي عند السيّد محمد باقر الحكيم (قده)

الشيخ د. لبنان حسين الزين[1]

ملخّص

نزل الوحيُ على امتداد تاريخ البشريّة على آحاد من البشر اختصَّهم اللهُ بذلك، وهم الأنبياء (عليهم السلام) الذين أوجد الله تعالى فيهم الاستعدادَ والقابليّة اللازمة لتلقّيه؛ من أجل إيصال هدايته إلى النَّاس.

والإدراكُ المتحصِّلُ بالوَحي إدراكٌ خاصٌّ يَختلف عن سائر الإدراكات البشريّة المُشتركة بين أفراد البشر كافّةً، يُوجده اللهُ -تعالى- في أنبيائه (عليهم السلام) إيجادًا لا يَعتريه معه لَبْسٌ أو خطأ، ولا يَحتاجون فيه إلى إعمال نظر، أو توسُّل دليل، أو إقامة برهان.

وتتناول هذه المقالةُ موضوعَ الوَحي ومباحثَه التي طرحَها (السيِّدُ محمد باقر الحكيم) (قده)، في كتابه "علوم القرآن"، وتُبيِّنُ مقاربتَه التأصيليّة لهذا الموضوع المُهمِّ والحسّاس، ونقدَه لشُبهة "الوَحي النَّفسي" التي تبنّاها المستشرقون، من خلال أبعاد ثلاثة، هي:

- أنَّ الدَّلائل التأريخية القطعيّة، وطبيعةَ الظُّروف التي مرَّ بها النبيُّ (ص)، تأبى التَّصديقَ بهذه النَّظرية وقَبولها.
- أنَّ المُحتوى الدَّاخلي للقرآن الكريم، بما يضمُّ من تَشريع وأخلاق وعقائد وتأريخ، لا يتَّفقُ معَ هذه النَّظرية في تفسير الوَحي القُرآني.
- أنَّ مَوقفَ النبيِّ (صلى الله عليه وآله) من الظَّاهرة القُرآنيّة يَشهد بوضوحٍ على رفض تَفسير الظَّاهرة القرآنيّة بنظريّةِ الوَحي النَّفسي.

الكلمات المفتاحية:

الوَحي، محمد باقر الحكيم، المستشرقون، أنحاء الوَحي، الوحي النَّفسي، الإلهام.

1 - أستاذ في جامعة المصطفى (ص) العالميّة، وكاتب وباحث في الدراسات الإسلاميّة والقرآنيّة، من لبنان.

مقدمة

يَمتلكُ الإنسانُ وراءَ شخصيَّته المادّيّة الظَّاهرة شخصيَّةً أُخرى معنويّة باطنة، من شأنها أن تُتيحَ له الارتباطَ بعالَم معنويٍّ أعلى مُجرَّدٍ عن المادّة ولوازمها؛ فالإنسانُ في عالم الدُّنيا موجود مُركَّب من روح وجسد، يَرتبط بالعالم المادّي بجسده، ويَحمل خصائصَه وقابليّاته: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِن سُلاَلَةٍ مِن طِينٍ ¤ ثُمّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مّكِينٍ ¤ ثُمّ خَلَقْنَا النّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا**﴾ [المؤمنون: 12-14]، ويَرتبطُ بالعالَم المُجرَّد برُوحه، ويَحمل خصائصَه وقابليّاته أيضًا: ﴿**ثُمّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾ [المؤمنون: 14].

وهذا الخلْقُ الآخر هو وجود الإنسان الرُّوحي الذي أفاضه الله تعالى، فمنه مبدؤُه: ﴿**... وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا**﴾ [مريم: 9]، وإليه مُنتهاه: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ¤ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً**﴾ [الفجر: 27-28]، وعن الإمام الصَّادق عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾ [الحجر: 29]، قال: "إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ خلقَ خَلقًا وخَلقَ رُوحًا، ثمَّ أمرَ مَلَكًا فنَفَخَ فيه"[1]، ومن هذا المُنطلق، لا مانعَ للإنسان مِن أن يتَّصل في جانبه المَعنويِّ والرُّوحيّ بالعالَم المُجرَّد، طالَما أنَّ روحَه تَحملُ خصائصَ هذا العالَم وقابليّاته، فيكون هذا الاتِّصال خَفِيًّا لا يَحمل خصائصَ المادّة، ولا يَخضع لقوانينها الطَّبيعية؛ وهو ما يُشكِّل ظاهرةَ الوَحي.

وقد نزل الوَحيُ على امتداد تاريخ البشرية حتّى انقطاعِه برَحيل رسولِ الله صلى الله عليه وآله على جميع

1 - الصدوق: التوحيد، ص172.

الأنبياء ﷺ الذين أوجَدَ اللهُ تعالى فيهم الاستعدادَ والقابليّةَ اللَّازمةَ لتلقِّي الوَحي الإلهيِّ، حيث خصَّهُم بذلك دون غيرِهم من النَّاس: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ...**﴾ [النساء: 163].

والإدراكُ المُتحصِّلُ بالوَحي إدراكٌ خاصٌّ يَختلف عن سائر الإدراكات البشريّة المشتركة بين أفراد البشر كافّةً، والمُتحصِّلة عن طريق الحِسِّ أو العقل أو الغَريزة أو الوجدان، يُوجِدُه الله تعالى في أنبيائه ﷺ إيجادًا لا يَعتريه معَه لَبسٌ أو شكٌّ أو خطأ، ولا يَحتاجون فيه إلى إعمال نظر، أو توسُّل دليل، أو إقامة بُرهان أو حُجّة؛ كما هو شأن الإدراكات البشرية؛ قال تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ¤ عَلَى قَلْبِكَ ...**﴾ [الشعراء: 193-194]. فالنبيُّ ﷺ يتلقَّى الوحيَ الإلهيَّ بنفسه الشَّريفة من غير توسُّط الحَواسِّ الظَّاهرة، فيَسمع ويَرى من غير وساطة السَّمع والبَصر الماديَّين، وإلَّا لكان من المُمكنِ أن يَسمعَ ويَرى غيرُه من النَّاس ما سمعَه هو ورآهُ بالوَحي، ولَما كان الوحيُ حينَها من مُختصّاتِ مقامِ النُّبوّة.

ويُوجَد أمرٌ لا نستطيع إدراكَه في ظاهرة الوَحي، وإن كُنّا نعتبرُه واقعًا حقًّا، ونُؤمِنُ به إيمانًا صادقًا، وهو كيفيّةُ وقوع هذا الاتِّصال الرُّوحي، والسَّبب في ذلك: أنَّ الوَحيَ ليس من عالَمِ المادّة والمادّيات؛ لكي نستطيع إدراكَ كُنهه أو تَحديدَ كيفيّة حصوله، وكلُّ ما باستطاعتنا إنَّما هو التَّعبير عنه على نحو التَّشبيه والاستعارة أو المَجاز والكناية لا أكثر، فهو ممّا يُدرَك ولا يُوصَف. فالوَحيُ ظاهرةٌ روحيّةٌ يُدرِكُها مَن يَصلُح لها، ولا يَستطيع غيرُه أن يَصِفَها وصفًا بالكُنه، ما عدا التَّعبير عنها بالآثار والعَوارض فحسب. وكذلك التَّعبير بنزول الوَحي أو المَلَك هو تعبيرٌ مجازيٌّ، وليس سوى إشراقةٍ وإفاضةٍ قُدسيّةٍ ملكوتيّةٍ يَجِدُها النبيُّ ﷺ حاضرةً في نَفسه، مُلقاةً عليه من خارج رُوحه[1].

والوحيُ مختصٌّ بالأنبياء ﷺ، وقد انقطعَ بعد رحيل خاتَمِ النبيِّينَ محمد ﷺ؛ حيث اكتملَت الرِّسالةُ الخاتمةُ: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ...**﴾ [الأحزاب: 40]، وأُمِرَ النَّاسُ باتِّباع رسالةِ الإسلام وتَركِ باقي الرِّسالاتِ السَّابقة: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ**

1 - انظر: الطباطبائي: القرآن في الإسلام، ص.ص. 112-113 & معرفة: التمهيد في علوم القرآن، ج1، ص.ص. 90-91.

﴿غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85]، وأمرَهُم بالسَّير على هَديها مُستضيئينَ بهَدي الإمامة الحاملة لحقائق هذه الرِّسالة، والمُبيِّنة لها، والضامنة لتَطبيقها الصَّحيح: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ [المائدة: 3]، وعن الإمام علي ﷺ: "... بأبي أنتَ وأُمِّي، لقد انقطَعَ بموتِكَ ما لَمْ يَنقطِعْ بموتِ غيرِكَ؛ من النُّبوّة، والأنباءِ، وأخبارِ السَّماء ..."[1]. وتأتي هذه المَقالةُ لتَتناوَلَ موضوعَ الوحي ومباحثَه التي طرحَها (السيِّد محمد باقر الحكيم) (قده)، ولا سيَّما في كتابه "علوم القرآن"، وتُبيِّنُ مقاربتَه التأصيليّة لهذا المَوضوع المُهمِّ والحسّاس، ومناقشتَه ونقدَه لشُبهة الوَحي النَّفسيِّ التي تبنّاها المُستشرقون، وتقويم ما قدَّمَه من طرح في هذا الصَّدد، وسنُحاول في هذه المَقالة تناوُلَ ما ذكرَه (السيّد الحكيم) (قده) من مباحثِ الوَحي وشُبهة المُستشرقين في الوَحي النَّفسي فقط، لمحاولة الإجابة عن أسئلة من قَبيل: ما هو الوحيُ؟ وما هي أنحاؤُه وصُوَره؟ وكيف نزل القرآنُ عبر الوَحي؟ وما الفرقُ بين الوَحي والإلهام؟ وما هي شبهةُ الوَحي النَّفسي التي تبنّاها المُستشرقون؟ وكيف ناقشَها ونقدَها الشَّهيد السيّد الحكيم (قده)؟

أولًا: مفهوم الوَحي

1 - الوَحيُ في اللُّغة

بيَّنَ السيّدُ الحكيم (قده) المعنى اللُّغويَّ للوحي بقوله: "والوَحيُ لغةً هو: الإعلامُ في خَفاء؛ أي الطَّريقة الخَفيّة في الإعلام"[2]، ونلاحِظُ في هذا التَّحديد اللُّغويِّ قيدَين اثنَين؛ هما: الإعلامُ، والخَفاء. وهذا صحيحٌ، لكنَّه غيرُ كافٍ في التَّحديد اللُّغويِّ للوحي؛ إذ يُوجَدُ قُيودٌ أُخرى في التَّعريف ذكرَها اللُّغويُّون: كالإشارة إلى أبرزِ مَصاديق الإعلام، وكونه بين طَرفَين، ويَحصل بسرعة، ولا يَحتاج تلقِّيه إلى نظرٍ، وما شابَهَ[3]... فالوَحيُ: إعلامٌ سريعٌ خفيٌّ، سواء أكان بإيماءةٍ أم بهَمسةٍ

1 - السيد الرضي: نهج البلاغة، ج2، ص228، الخطبة235.

2 - الحكيم: علوم القرآن، ص25.

3 - انظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج6، ص93 & الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص858.

أم بكتابةٍ في سِرٍّ، وكلُّ ما ألقيتَه إلى غيرِكَ في سرعةٍ خاطفةٍ حتى فَهِمَه فهو وَحيٌ.

2 - الوَحي في الاصطلاح

عرَّفَ (السيّدُ الحكيم) (قده) الوَحيَ بأنَّه: "الطَّريقةُ الخاصّة التي يتَّصل بها اللهُ -تعالى- برَسولِه، نظرًا إلى خفائها ودقّتِها وعدمِ تمكُّن الآخَرين من الإحساسِ بها [...] [أي] الطَّريقة العامّة لاتِّصال الأنبياء بالله، وتَلقِّيهم الكتبَ السَّماوية منه تعالى، كما حدَّث الله بذلك رسولُه في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**إنّا أَوحَينا إليكَ كما أوحَينا إلى نُوحٍ والنَّبيّينَ من بَعدِهِ وأوحَينا إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وعيسى وأيُّوبَ ويُونسَ وهارونَ وسُلَيمانَ...**﴾ [الشورى: 51]"[1].

ويُلاحَظ على هذا التَّحديد أنَّه غيرُ شاملٍ للنَّبيِّ الذي ليسَ برَسولٍ، معَ أنَّه يُوحَى إليه! حيث قيَّدَ التَّعريفُ الوحيَ بالرَّسول والكُتب السَّماويّة! في حين أنَّ الأدقَّ قد يكون هو التَّعبير بإيصال الهداية الإلهيّة المَخصوصة إلى النَّاس؛ الأعمُّ من تعاليم الكُتب السَّماويّة وتعاليم الرِّسالة، هذا ولم يَتناول (السيّدُ الحكيم) (قده) في مباحثه التي طرحَها: الاستعمالَ القرآنيَّ لمُفرَدةِ الوَحي؛ حيثُ استعملَها القرآنُ بالمَعنى الاصطلاحيِّ غالبًا في أكثرَ من ستِّينَ مَوضِعًا، وبالمَعنى اللُّغويّ في مواردَ قليلةٍ لا تتجاوزُ سبعةَ مواضع[2]، كما لم يتعرَّضْ لمباحث: ضرورة الوَحي، وإمكانه، وحقيقته، وكيفيّة حصوله، وانقطاعه. وهي مباحثُ بالغة الأهمية في الوَحي، وقد تعرَّضْنا لها بنحوٍ مُوجَزٍ في مَدخل هذه المقالة.

ثانيًا: أنحاء الوَحي

بيَّنَ السيّدُ الحكيمُ أنحاءَ الوَحي وصُوَرَه؛ استنادًا إلى ما ورد في القرآن الكريم، حيث يقول: "يَبدو من القرآن الكريم أنَّ الوَحيَ هذا الاتِّصالُ الغيبيُّ الخفيُّ بين الله وأصفيائِه، وله صورٌ ثلاثٌ:

1 - الحكيم: علوم القرآن، ص25.

2 - انظر: روحاني: المعجم الإحصائي للقرآن الكريم، ج1، ص571.

- الأولى: إلقاءُ المعنى في قلب النبيِّ أو نَفثُه في رُوعِه بصورة يُحِسُّ بأنَّه تلقّاه من الله تعالى.
- والثانية: تكليمُ النبيِّ من وراء حجاب؛ كما نادى اللهُ موسى من وراء الشَّجرة وسمعَ نداءَه.
- والثالثة: هي التي متى أُطلقَت انصرفَت إلى ما يَفهَمُه المُتديِّنُ عادةً من لفظة الإيحاء حين يُلقي مَلَكُ الوَحي المُرسَلُ من الله إلى نبيٍّ من الأنبياء ما كُلِّفَ إلقاءَه إليه، سواء أُنزل عليه في صورة رجلٍ أم في صورتِه المَلَكيّة.

وقد أُشير إلى هذه الصُّوَر الثَّلاث في قوله تعالى: ﴿**وما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلا وَحيًا أو مِنْ وَراءِ حِجابٍ أو يُرسِلَ رَسولًا فيُوحِي بإذنِهِ ما يَشاءُ إنَّهُ عَلِيٌّ حَكيمٌ**﴾ [الشورى: 51]."[1].

وفيما يَخصُّ الوَحيَ النَّازلَ على النبيِّ محمَّد ﷺ، يُشيرُ (السيِّدُ الحكيمُ) (قده) إلى أنَّ أغلبَه كانَ بنَحوٍ غيرِ مباشر، عبرَ المَلَك جبرائيل عليه السلام، حيث يَقول: "وتدلُّ الرِّواياتُ على أنَّ الوَحيَ الذي تلقَّى عن طريقِه الرِّسالةَ الخاتمةَ وآياتِ القُرآن المَجيد كان بتَوسيطِ المَلَك في كثير من الأحيان، وبمُخاطَبة الله لعبدِه ورَسولِه من دون واسطة في بعض الأحيان"[2]، ويُعدِّدُ (السيّدُ الحكيم) (قده) آثارَ الوَحي المباشر النَّازل على النبيِّ ﷺ، فيقول: "وكان لهذه الصُّورة من الوَحي، التي يَستمعُ فيها النبيُّ إلى خطاب الله من دون واسطة، أثرُها الكبير عليه، ففي الحديث: 'أنَّ الإمامَ الصَّادق عليه السلام سُئِل عن الغَشْيَة التي كانَت تأخُذُ النبيَّ أكانَت عند هُبوطِ جبرئيل؟ فقال: لا، وإنَّما ذلك عندَ مُخاطَبة الله عزَّ وجلَّ إيّاهُ بغَيرِ ترجمانٍ وواسطةٍ'."[3].

ويُلاحَظ أنَّ (السيّدَ الحكيم) (قده) لم يُفصِّلِ الكلامَ في أقسام الوَحي (مباشر وغير مباشر)، فلم يتعرَّضْ لآثار الوَحي المباشر وعلاماته التي وردَت في الرِّوايات: من أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا نزلَ عليه الوَحيُ يُسمَعُ عندَ وجهِه دَوِيٌّ كدَوِيِّ النَّحل، وأنَّه كان يَنزل عليه الوَحيُ في اليوم الشَّديد

1 - الحكيم: علوم القرآن، ص26.
2 -م. ن.
3 - م. ن.

البرَدِ فيَنفَصِمُ عنه، وإنَّ جبينَه ليَنفَصِدُ عَرَقًا[1]. وكذلك لم يُحاول السيِّدُ (قده) تَوجيهَها، ولا سيَّما أنَّها كانَت مُنطلَقًا للمُستشرقين في إثارة شُبهاتهم في الوَحي النَّفسي!

ويمُكِنُ تَوجيهُها بأنَّ هذه العوارضَ الجسديّةَ التي كانَت تَظهَرُ على النبيِّ ﷺ، حينَ نُزول الوَحي عليه من دون واسطة، إنَّما هي بمثابة علاماتٍ حاكيةٍ عن ثِقَل هذا الوَحي المباشر؛ بفعلِ اتِّصالِ النبيِّ ﷺ بكلِّ كيانه ووُجودِه بمَبدأ الوُجود، وانفتاح نفسه الطَّاهرة ﷺ وهو في نشأة عالَم المادّة المَحدود على عالَمِ الملَكوت الأعلى. فمن الطَّبيعيِّ أن تَظهر عليه ﷺ هذه العوارضُ المادّية، حتى كأنَّ روحَه تَفيض منه بفعل هذا الاتِّصال المباشر، وهو ما عبَّرَ عنه النبيُّ ﷺ في وَصفِ الوَحي المباشر عندما يَحصل له؛ فعَن عبد الله بن عمر: سألتُ النبيَّ ﷺ: هل تُحِسُّ بالوَحي؟ قال ﷺ: "أسمَعُ صَلاصِلَ، ثمَّ أسكُتُ عندَ ذلكَ. فما مِن مَرّةٍ يُوحَى إليَّ إلا ظننتُ أنَّ نَفسي تَفيضُ"[2]، وفي تحقُّق هذا الاتِّصال مع وجود قيود عالَمِ المادّة دلالةٌ جليّةٌ على عِظَم نفسِ الرَّسولِ الأكرم ﷺ وطهارتِها وكمالِها، وليس كما أراد المُستشرِقُونَ تَوظيفَ هذه الآثار والعلامات!

كما لم يتعرَّض (السيّدُ الحكيم) (قده) لصُوَرِ الوَحي غير المباشر كلِّها؛ كالوَحي عبر المَنام؛ كما حصل للنبيِّ إبراهيم عليه السلام: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الصافات: 102]، وللنبيِّ محمّد ﷺ: ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [الفتح: 27]، كما وردَ في الرِّوايات أنَّ النَّبيَّ ﷺ لمّا أتى له سبعٌ وثلاثونَ سنةً، كان يَرى في منامه كأنَّ آتيًا يأتيه فيقول: يا رسولَ الله! ومضَت عليه بُرهةٌ من الزَّمن وهو على ذلك يَكتمُه، وإذا هو في بعض الأيّام يَرعى غنمًا لأبي طالب عليه السلام في شُعَب الجبال؛ إذ رأى شخصًا يقول له: يا رسولَ الله! فقال له ﷺ: مَن أنتَ؟ قال عليه السلام: أنا جبريلُ أرسلَني اللهُ إليكَ لِيَتَّخِذَكَ

1 - انظر: ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج1، ص41.

2 - ابن حنبل: المسند، ج2، ص222.

رَسولا[1]، وعن الإمام علي ﷺ: "رُؤيا الأنبياء وَحيٌ"[2]، وعن الإمام الباقر ﷺ: "وأمَّا النبيُّ فهو الذي يَرى في منامِه نحوَ رُؤيا إبراهيم ﷺ، ونحوَ ما كان رأى رسولُ الله ﷺ من أسباب النُّبوّة قبلَ الوَحي، حتّى أتاهُ جبرائيلُ ﷺ من عندِ الله بالرِّسالة..."[3].

وكذلكَ لم يَتناوَل السيِّدُ (قده) تفاصيلَ نُزول الوَحي على النبيِّ ﷺ عبرَ جبريل ﷺ بصورتِه الحَقيقيّة؛ كما في قوله -تعالى-: ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ¤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ¤ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ¤ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ¤ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ¤ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ¤ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ¤ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ¤ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ¤ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ¤ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ¤ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ¤ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ¤ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ¤ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**﴾ [النجم: 4-18] أو مُتمثِّلاً بصورة رجل؛ فعَن الإمام الصَّادق ﷺ: "إنَّ جبرائيلَ كان إذا أتَى النَّبيَّ ﷺ لم يَدخُلْ حتّى يَستأذِنَهُ، وإذا دخلَ عليهِ قعدَ بينَ يدَيهِ قعدةَ العَبدِ"[4].

ثالثًا: نزول القرآن عن طريق الوَحي

بيَّنَ (السيّدُ الحكيم) (قده) أنَّ النبيَّ ﷺ تلقَّى القرآنَ الكريم عن طريق الوَحي، وأنَّه نزل عليه ﷺ مرّتَين: مرّة بتَعاليمِه ومعارفِه نُزولاً دفعيًّا واحدًا، ومرّةً بآياتِه وسُوَرِه نُزولاً تدريجيًّا طيلة مدّة البعثة، حيث يقول: "في رأي عدد من العلماء أنَّ القرآنَ الكريم نزل على النبيِّ مرّتَين، إحداهما: نزلَ فيها جملةً واحدةً على سبيل الإجمال، والأُخرى: نزل فيها تدريجًا على سبيل التَّفصيل خلال المدّة التي قضاها النبيُّ في أمّتِه منذ بعثته إلى وَفاته. ومعنى نزوله على سبيل الإجمال: هو نزول المعارف الإلهيّة التي يَشتملُ عليها القرآنُ وأسرارُه الكبرى على قلب النبيِّ لكي تَمتلِئَ روحُه بنور المعرفة القرآنية. ومعنى نُزوله على سبيل التَّفصيل هو نزولُه بألفاظه المُحدَّدة وآياته المُتعاقبة،

1 - انظر: الإربلي: كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، ج1، ص86.
2 - الطوسي: الأمالي، ص338.
3 - الكليني: الكافي، ج1، ص176، كتاب الحجّة، باب3، ح3.
4 - انظر: الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة، ص.ص. 85-86.

والتي كانت في بعض الأحيان تَرتبط بالحوادث والوَقائع"[1].

ثمَّ يُوضِّح (قده) وجهَ الحِكمة في تعدُّد النُّزول، فيقول: "وكان إنزالُه على سبيل الإجمال مرّةً واحدةً؛ لأنَّ الهدفَ منه تَنويرُ النبيِّ وتَثقيفُ الله له بالرِّسالة التي أعدَّهُ لِحَملها. وكان إنزالُه على سبيل التَّفصيل تدريجًا؛ لأنَّه يَستهدف تربيةَ الأمّة وتَنويرَها وترويضَها على الرِّسالة الجديدة، وكذلك تَثبيت النبيِّ في مواقفه وتسديده فيها، وهذا يحتاج إلى التدرُّج"[2].

ويُؤكِّد (السيّد الحكيم) (قده) نظريّةَ تعدُّد نزول القرآن من خلال دلالة بعض الآيات، فيقول: "على ضوء هذه النَّظرية في تعدُّد نزول القرآن يُمكنُنا أن نفهمَ الآيات الكريمة الدالّةَ على نزول القرآن بجُملته في شهر رمضان، أو إنزاله في ليلة القدر بصورة خاصّة؛ نحو قوله -تعالى-: ﴿**شَهرُ رَمَضانَ الَّذى أُنزِلَ فيه القُرآنُ هدًى للنَّاسِ وبَيِّناتٍ من الهُدَى والفُرقان...**﴾، وقوله: ﴿**إنَّا أنزَلْناهُ فى لَيلةِ القَدْرِ**﴾، وقوله -تعالى-: ﴿**إنَّا أنزَلْناهُ فى لَيلةٍ مُبارَكةٍ إنَّا كُنّا مُنذِرينَ**﴾؛ فإنَّ الإنزالَ الذي تتحدَّث عنه هذه الآياتُ ليس هو التَّنزيل التَّدريجيّ الذي طال أكثر من عِقدَين، وإنَّما هو الإنزالُ مرّةً واحدةً على سبيل الإجمال. كما أنَّ فكرةَ تعدُّد الإنزال بالصُّورة التي شرحناها تُفسِّرُ لنا أيضًا المَرحلتَين اللَّتَين أشار إليهما القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**... كِتابٌ أُحكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَدُنْ حَكيمٍ خَبيرٍ**﴾؛ فإنَّ هذا القولَ يُشير إلى مرحلتَين في وجود القرآن، أولاهما: إحكامُ الآيات، والثانية: تَفصيلُها؛ وهو يَنسجمُ مع فكرة تعدُّد الإنزال، فيكونُ الإنزالُ مرّةً واحدةً على سبيل الإجمال هي مرحلةُ الإحكام، والإنزالُ على سبيل التَّفصيل تَدريجًا هي المَرحلةُ الثَّانية؛ أي مرحلةُ التَّفصيل"[3].

ويُلاحَظُ على ما ذكرَه (السيّد الحكيم) (قده):

- أنَّه كان بإمكانه الاستفادةُ من البحث اللُّغويِّ وتَعبير الآيات عن النُّزولَين في دَعم تعدُّد نزول القرآن؛ وذلك أنَّ الآيات التي تحدَّثَت عن النُّزول الدَّفعيِّ جاء التَّعبيرُ فيها بصيغة الإنزال (أنزلناه/ أُنزِلَ)، على حين أنَّه في الآيات التي تحدَّثَت عن النُّزول التَّدريجي جاء التَّعبير فيها

1 - الحكيم: علوم القرآن، ص27.

2 - م. ن.

3 - م. ن. ص27-28.

بصيغة التَّنزيل (ونزَّلناهُ تَنزيلًا)، وفرقٌ بين الإنْزالِ والتَّنزيل؛ فالإنزالُ دَفعيٌّ، والتَّنزيلُ تَدريجيٌّ[1].

- بالرُّجوع إلى الآيات التي تحدَّثَت عن نزول القرآن دُفعةً واحدة، وكذلك نُزوله تدريجًا، نستفيد منها أنَّ ما نزل دفعةً واحدةً ليس ألفاظًا ولا معانيَ ولا مفاهيمَ ولا معارفَ، بل حقيقة مَعنويّة غَيبيّة هي الأصل الذي تنزَّلَ منه القرآنُ الذي بلَّغَه النبيُّ ﷺ للنَّاس: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ¤ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ [الزخرف: 3-4]، ﴿**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ¤ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ**﴾ [البروج: 21-22]، ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ¤ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ¤ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ¤ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ¤ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ¤ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الواقعة: 75-80]. وبناءً عليه فإنَّ نسبةَ ما نَزلَ تَدريجًا إلى ما نَزلَ دُفعةً هو نسبة الشُّعاع من النُّور؛ فما نزلَ دُفعةً هو من عالم مُجرَّدٍ مُحكَمٍ لا تَفصيل فيه، ونزوله يَحتاج إلى ظرف خاصٍّ؛ وهو ليلة القدر، ووعاء خاصٍّ؛ وهو القلبُ الأقدسُ للنبيِّ ﷺ. وعليه، فالنُّزول الدَّفعيُّ لحقيقة القرآن الغَيبيّة على قلب النبيِّ ﷺ ليس لأجل إفهامه تَعاليمَ القرآن ومعارفه؛ كما عبرَّ (السيّدُ الحكيم) (قده) في بعض كلامه المُتقدِّم! بل لأنَّه يُطيق هذه الحقيقةَ في عالَمها الغيبيِّ ويَمسُّها؛ كما عبرَّ القرآنُ: ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ¤ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ¤ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**﴾، ومن ثمَّ منها حصلَ التَّنزيلُ إلى عالَم الدُّنيا: ﴿**تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، إلى القرآن العربيِّ المُفصَّل: ﴿**كِتَابٌ أُحكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ**﴾؛ لأجل أن يُبلِّغَه للنَّاس.

- ما ذكرَهُ القرآنُ الكريمُ من فوائد النُّزول التَّدريجيِّ؛ بتَثبيتِ فؤادِ النبيِّ ﷺ، المَرادُ منه تَثبيتُ قلوب المُؤمنينَ؛ من باب إيّاكَ أعني واسمَعِي يا جارة!

رابعًا: الفرق بين المَوهبة والإلهام والوَحي

يَرى (السيّدُ الحكيم) (قده) أنَّ هناك فرقًا بين الإدراك العاديِّ "المَوهبة"، وبين "الإلهام"، و"الوَحي"، فيقول:

- إدراكُ (الموهبة) في الحقيقة يُعبِّرُ عن فكرة يُدركُها الإنسانُ، مع شعوره بأنَّها نتيجة للجهد

1 - انظر: الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص.ص. 799-800.

الشَّخصي، وإنْ كان يُدرِكُ بشكلٍ عقليٍّ ومنطقيٍّ أنَّها مُرتبطة بسبب أو بآخر بالله سبحانه.

- والإلهامُ: عبارة عن فكرة يُدركُها الإنسانُ، مَصحوبة بالشُّعور الواضح، بأنَّها مُلقاةٌ من طَرَفٍ أعلى مُنفصلٍ عن الذَّات الإنسانيّة، وإنْ كان لا يُدرِكُ الإنسان شكلَ الطَّريقة التي تمَّ فيها هذا الإلقاءُ.

- والوَحيُ: عبارة عن فكرة يُدركُها الإنسانُ، مَصحوبة بالشُّعور الواضح، بأنَّها مُلقاةٌ من طَرَفٍ أعلى مُنفصلٍ عن الذَّات الإنسانية، وشعور آخر واضح بالطَّريقة التي تمَّ فيها الإلقاء، مع وجود عنصرِ الغَيب والخَفاء في هذه العمليّة، ولذا تُسمَّى بالوَحي"[1].

ويُلاحَظُ على ما ذكرَهُ السيّدُ الحكيم (قده):

- أنَّ عنصرَ الخفاء مَوجودٌ في الوَحي والإلهام، بل حتى في المَوهبة؛ فما لم يُفصِحْ صاحبُها عنها للآخَرِ تكون مُختصّةً به ومَخفيّةً عن غيرِه!

- أنَّ حصر المائزِ بينَ الإلهام والوَحي في إدراك طريقة الاتِّصال والإلقاء أو عدمِها ليس دقيقًا! فالوَحيُ إدراكٌ أسمى من الإلهام، فضلاً عن المَوهبة!

- أنَّه لم يُبيِّنْ مُتعلَّق الإلهام! وبالرُّجوع إلى النُّصوص الدِّينيّة؛ ومنها ما أورده (السيّد الحكيم) (قده) من روايات في الوَحي والتَّحديث، وكذلك ما ورد في القرآن بحقِّ أمِّ موسى عليه السلام: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [القَصص: 7]، نستنتج أنَّ الاتِّصالَ الغَيبيَّ بين الإنسان وعالمِ الغَيب، على ثلاثة أنحاء:

  - **النَّحو الأوّل:** الاتِّصال الوَحيانيُّ؛ وهو الذي يُلقي اللهُ تعالى عبرَهُ الهِدايةَ إلى النبيِّ عليه السلام لِيَبلِّغَها إلى النَّاس؛ وهذا الاتِّصال مُرتبطٌ بدَورِ النبيِّ عليه السلام والرَّسول عليه السلام؛ وهو إراءةُ طريقِ الهِداية للنَّاس.

  - **النَّحو الثاني:** الاتِّصال التَّحديثيُّ: وهو الذي يُسدِّدُ به اللهُ تعالى الإمامَ عليه السلام في هدايتِه

1 - الحكيم: علوم القرآن، ص151.

للنَّاس: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ**﴾ [الأنبياء: 73]؛ فهذا الاتِّصالُ يَرتبطُ بدور الإمام عليه السلام في بيان الهداية للنَّاس والأخذ بيدِهم في طريقِ التَّحقُّق بها وإيصالهم إلى الكمال.

- **النَّحو الثالث:** الاتِّصال الإلهاميُّ: وهو الذي يُؤيِّدُ اللهُ تعالى به عبادَهُ المُؤمنينَ، ويَربطُ به على قلوبهم؛ كما فعلَ معَ أمِّ موسى عليها السلام، وكما قال تعالى في حقِّ المُؤمنينَ: ﴿**... وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ...**﴾ [المجادلة: 22].

والجديرُ بالذِّكْر أنَّ القرآن الكريم عبَّر عن هذه الأنحاء الثلاثةِ من الاتِّصال في بعض المَواضع بالوَحي؛ للإشارة إلى الجانب الخَفيِّ فيها.

- أنَّه لم يُبيِّن الفَرقَ بينَ النبيِّ والرَّسول على مستوى أنحاء الوَحي، وكذلك الفرقَ بينَهما وبينَ المُحدَّث، مع أنَّ الرِّوايات فصَّلَت في ذلك! حيثُ ذكرَت أنَّ النبيَّ عليه السلام غيرُ الرَّسول يَرى في المَنام ولا يُعاينُ المَلَكَ، بينَما الرَّسول عليه السلام يَرى المَلَكَ ويُعاينُه، في حين أنَّ المُحدَّث (الإمام) لا يَرى المَلَكَ ولا يُعاينُه، بل يُنكتُ في قلبه، ويَرى ويُعاينُ ما هو أعظَمُ من المَلَك؛ وهو الرُّوحُ القُدُس؛ حقيقته القدسيّة في عالم الأمر: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ...**﴾ [الأنبياء: 73]، ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلا**﴾ [الإسراء: 85].

عن بريد العجليِّ قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن الرَّسول والنبيِّ والمُحدَّث، قال: "الرَّسولُ الذي تأتيه المَلائكةُ وتُبلِّغُهُ عن الله تبارك وتعالى، والنبيُّ الذي يَرى في مَنامه، فما رأى فهو كما رأى، والمُحدَّثُ الذي يَسمَعُ كَلامَ الملائكة، ويُنقَرُ في أُذنِه ويُنكَتُ في قلبِه"[1].

- وعن زرارة قال: سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن قول الله -عزَّ وجلّ-: ﴿**وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا**﴾ [مريم: 54] قلتُ: "ما الفَرقُ بينَ الرَّسول والنبيِّ؟ قال: النبيُّ هو الذي يَرى في منامه ويَسمَعُ الصَّوتَ ولا يُعاينُ المَلَكَ، والرَّسولُ يُعاينُ المَلَكَ ويُكلِّمُه، قلتُ: فالإمام ما مَنزلتُه؟ قال: يَسمَعُ الصَّوتَ ولا يَرى ولا يُعاينُ"[2].

1 - الصفّار، بصائر الدرجات، ج8، ص388، باب1، ح1.

2 - م. ن. ح2.

وعن أبي بصير، قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: "إنَّ منّا لمَن يُعاينُ مُعايَنةً، وإنَّ منّا لمَن يُنقَرُ في قلبه كيتَ وكيتَ، وإنَّ منّا لمَن يَسمَعُ كما يقعُ السِّلسلة كلّه يقعُ في الطَّست. قلتُ: فالذين يُعايَنون ما هُم؟ قال: خلقٌ أعظَمُ من جبرئيل وميكائيل"[1].

خامسًا: شُبهة الوَحي النَّفسيِّ عند المُستشرقينَ ومُناقشتُها

صدرَت عن المُستشرقين آراءٌ عدّةٌ في الوَحي المُحمَّديِّ، وأثاروا شبهاتٍ كثيرةً، يمُكِنُ تَصنيفُها ضمنَ طوائفَ أربعةٍ رئيسةٍ؛ هي:

- ادِّعاءُ بُطلان الوَحي وافتراء النبيِّ صلى الله عليه وآله للقرآن![2].
- تفسير الوحي بالتَّفسيرات الماديّة![3].
- ادِّعاء إنكار الوحي واتِّهام النبيِّ صلى الله عليه وآله بأنَّه تلقّاه من عند غيرِ اللهِ تعالى![4].
- وصف الوحي بالظَّواهر النَّفسيّة!

وقد تعرَّض (السيّد الحكيم) (قده) للطَّائفة الرّابعة منها فقطْ؛ وهي: شبهةُ الوَحي النَّفسي.

1 - بيان الشُّبهة

أ - بيان الشُّبهة على لسان المُستشرقين

ادَّعى بعضُ المستشرقين أنَّ القرآن ناتجٌ عن تأمُّلات النبيِّ صلى الله عليه وآله الشَّخصيّة، وخواطرِه الفِكريّة، وحالتِه النَّفسيّة، وقوّة عقلِه، وتفكيره في إصلاح مجتمعِه.

---

1 - الصفّار، بصائر الدرجات، ج5، ص251، باب7، ح1.

2 - انظر: مونتغومري وات: محمَّد في المدينة، ص496 & ويلز: معالم تاريخ الإنسانيَّة، ج3، ص626.

3 - انظر: كارليل: الأبطال، ص. ص.85-86.

4 - انظر: بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلاميَّة، ص69 & سال: مقالة في الإسلام، ص. ص. 72-73 & جورافسكي: الإسلام والمسيحيَّة، ص61 & وات: محمَّد في مكَّة، ص. ص. 74-75.

يقول (كارل بروكلمان - Carl Brockelmann):"... تحقَّقَت عندَه أنَّ عقيدةَ مواطنيه الوَثنيِّينَ فارغةٌ فكان يَعتمِلُ في أعماقِه هذا السُّؤالُ: إلى مَتى يمدُّهُم اللهُ في ضَلالِهم ما دام هو قد تجلَّى آخِرَ الأُمم للشُّعوب الأخرى بواسطة أنبيائِه؟ وهكذا نضجَتْ في نفسه الفكرةُ أنَّه مَدعوٌّ إلى أداء رسالة النُّبوة"[1].

وقد اضطرَبُوا في تحديد حالةِ النبيِّ النَّفسيّة التي صدر عنها القرآنُ، فاختلَفُوا في ذلك إلى أقوالٍ مُتباينة[2].

ويَرى (جوستاف لوبون - Gustave Le Bon) أنَّ التصرُّفات التي تَعتري الرَّسولَ إبانَ نزول الوَحيِ الإلهيِّ عليه ما هي إلا إصابتُه بالصَّرع الذي يَنتابُه في هـذه اللَّحظات، فيَعتريه احتقانٌ فغَطيطٌ، فغثيانٌ. ويَرى أنَّه يَجب اعتبارُ محمَّدٍ من فصيلة المُتهوِّسينَ، فيَقول في هذا الصَّدد: "... ولا أهمية لذلك فلم يَكن ذَوو المزاج البارد من المُفكِّرينَ هم الذين يُنشِئُونَ الدّيانات، ويَقودون النَّاسَ، وإنَّما أُولو الهَوس هم الذين مثَّلوا هذا الدَّور، وهم الذين أقاموا الأديانَ، وهدَمُوا الدُّول، وأثاروا الجموعَ وقادوا البشرَ، ولو كان العقلُ لا الهَوس هو الذي يَسود العالَمَ لكان للتَّاريخ مَجرًى آخَر."[3].

ويَقول (إجناس جولد تسيهر - Ignác Goldziher) عن النبيِّ محمَّد ﷺ أنَّه "خلال النِّصف الأوَّل من حياته اضطرَّتْه مَشاغلُه إلى الاتِّصال بأوساط استقَى منها أفكارًا أخذَ يَجترُّها في قرارة نفسه وهو مُنطوٍ في تأمُّلاته أثناء عُزلته، ولمَيلِ إدراكه وشعوره للتأمُّلات المُجرَّدة التي يَلمحُ فيها أثرَ حالتِه المرَضيّة، نَراه يَنساقُ ضدَّ العقلية الدِّينيّة والأخلاقية لقومِه الأقربينَ والأبعدينَ."[4].

ويُشير (بروكلمان) إلى أنَّ مصدرَ الوَحيِ ناتجٌ عن الأفكار التي كوَّنَها النبيُّ محمَّد ﷺ زيادةً على ما استفادَهُ من اليهوديَّة والنَّصرانيَّة اللَّتَينِ كانَت لهما الأهمِّيَّةُ الكُبرى في ولادة دينه الجديد[5].

---

1 - بروكلمان: تاريخ الشعوب، ص36.

2 - انظر: رضوان: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، ج1، ص381.

3 - انظر: لوبون: حضارة العرب، ص.ص. 141 وما بعدها.

4 - جولدتسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام، ص13.

5 - انظر: بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلاميَّة، ص69.

ويَقطع المستشرق الألمانيُّ (تيودور نولدكه - Theodor Nöldeke) أنَّ المصدر الأساسَ والمكوِّنَ للوَحي القرآنيِّ هو الكتابات اليهوديَّة؛ ودليلُه على ذلك قصصُ الأنبياء المذكورة في القرآن الكريم، وبعضُ التَّعاليم والفروض، فيُورد أمثلةً عدَّة ليُثبِتَ افتراءاتِه[1].

وكذلك يَذكر المستشرق (جون سي بِلير – John C. Blair) بعضَ الأمثلة التي تدلُّ -بزَعمه- على الأخذ من المصادر اليهوديَّة والمسيحيّة، مثلاً، بالنِّسبة إلى مـا يتعلَّق بمصادر بعض الأفكار والتَّعبيرات الخاصَّة بيوم الحساب والبَعث، الواردة في القرآن الكريم والتَّقاليد الإسلاميَّة، فيقول إنَّها قد اقتُبست وبشكلٍ واضح من الكتب اليهوديَّة والمسيحيَّة؛ إذ إنَّ لفظ "السَّاعة" و"اليوم" هي من العَهد الجديد[2].

ب - صياغة الشُّبهة عند (السيّد الحكيم) (قده)

قرَّرَ (السيّد الحكيم) (قده) شُبهةَ الوَحي النَّفسيِّ التي طرحَها المستشرقون؛ وفق الصِّياغة الآتية، فقال: "إنَّ محمّدًا ﷺ قد أدركَ بقوّة عَقلِه الذَّاتيّة، وما يَتمتَّع به من نقاءٍ وصفاءٍ رُوحيٍّ ونَفسيّ، بُطلانَ ما كان عليه قومُه من عبادة الأصنام، وفطرته الزَّكيّة؛ إضافةً إلى بعض الظُّروف الموضوعيّة التي حالَت دون أن يُمارِسَ أساليبَ الظُّلم الاجتماعيِّ، ثمَّ طال تفكيرُهُ من أجل إنقاذِهم من ذلك الشِّرك القَبيح، وتَطهيرِهم من تلكَ الفواحشِ والمُنكَرات.. وقد استفادَ من النَّصارى في المَعلومات، وإنْ كان لم يَقبل جميعَ ما وصلَ إليه منهُم؛ كأُلوهيّة المَسيح وأُمِّه، وغير ذلك.. وكان قد سمعَ أنَّ اللهَ سيَبعثُ نبيًّا، وتَولَّدَ في نفسِه أملٌ ورجاءٌ في أن يكون هو ذلك النبيَّ الذي آنَ أوانُه، وأخذَ يتوسَّلُ إلى تحقيق هذا الأمل بالانقطاع لعبادة الله تعالى في خلوتِه في غار حراء.

وهنالكَ قَوِيَ إيمانُه وسَما وجدانُه، وبعد فترة من التأمُّل أصبحَ أهلاً لهداية النَّاس، ثم ما زال يُفكِّرُ ويتأمَّل ويتقلَّبُ بين الآلام والآمال، حتّى أيقَنَ أنَّه هو النبيُّ المُنتظَر الذي يَبعَثُه اللهُ لهداية البشرية، وتَجلَّى له هذا الاعتقادُ في الرُّؤى المَناميّة، ثم قَوِيَ حتّى صار يتمثَّلُ له الملكُ يُلقِّنُه

1 - انظر: العقيقي: المستشرقون، ص.ص. 738-739.

2 - انظر: جون سي بِلير: مصادر الإسلام بحث في مصادر وأركان الديانة المحمَّديَّة، ص65.

الوَحيَ في اليَقظة.. وأمَّا المعلوماتُ التي جاءَته من هذا الوَحي، فهي مُستمَدَّة في الأصل من تلك المَعلومات التي حصل عليها من اليَهود والنَّصارى، وممّا هداه إليه عقلُهُ وتَفكيرُهُ في التَّمييز بين ما يَصِحُّ منها وما لا يَصِحُّ، ولكنَّها كانَت تتجلَّى وكأنَّها وحيُ السَّماء، وخطابُ الخالق عزَّ وجلَّ كما كان يأتي الأنبياء؛ كموسى وعيسى (عليهما السلام)"[1].

ج - خلاصة الشُّبهة

بناءً على ما تقدَّم من كلام المُستشرقين وما قرَّرَهُ (السيّد الحكيم) (قده)، يمُكِنُ أن نُلخِّصَ شُبهةَ الوَحي النَّفسيِّ بالآتي: إنَّ الوَحي عبارةٌ عن فَيضٍ وجدان النبيِّ الباطنيِّ النَّاتج عن تَفكيره بخلاص قومِه من الشِّرك والظُّلم، والنقاط الرَّئيسةُ في الشُّبهة؛ هي أنَّ النبيَّ ﷺ:

- أدركَ بُطلانَ ما عليه قومُه.
- ابتعد عن ممارسة الظُّلم وارتكاب الفَواحش.
- فكَّرَ بإصلاحِهم.
- استقى معلوماته من أهل الكتاب.
- اعتقد أنَّه النبيُّ المُبشَّرُ به.
- أوحَت له نفسُه.

3 - مناقشة شُبهة الوَحي النَّفسي ونقدُها

يَرى (السيّد الحكيم) (قده) أنَّه "إذا أردنا أن نَدرُسَ هذه الشُّبهةَ -شبهة الوحي النَّفسي-، لا نجدها تَصمد أمامَ النَّقد والمُناقشة العلميَّتَينِ؛ إذ يمُكِنُ أن يُلاحَظَ عليها من خلال أبعادٍ ثلاثةٍ نَذكرها على الإجمال وهي:

- أنَّ الدَّلائلَ التأريخيّةَ القَطعيّة وطبيعةَ الظُّروف التي مرَّ بها النبيُّ ﷺ تأبى التَّصديقَ بهذه

1 - الحكيم: علوم القرآن، ص.ص. 152-154.

النَّظرية وقَبولَها.

- أنَّ المُحتوى الدَّاخلي للقرآن الكريم، بما يَضمُّ من تشريع وأخلاق وعقائد وتأريخ، لا يتَّفقُ مع هذه النَّظرية في تَفسير الوحيِ القرآنيِّ.
- أنَّ موقفَ النبيِّ ﷺ من الظَّاهرة القرآنيّة، يَشهدُ بوُضوحٍ على رَفضِ تَفسير الظَّاهرة القُرآنيّة بنَظريّةِ الوَحيِ النَّفسيِّ"[1].

أمَّا تفصيلُ ذلك فهو كالتالي:

أ - الدَّلائل التأريخيّة تُناقض نظريّةَ الوَحي النَّفسيّ

تعرَّضَ (السيّد الحكيم) (قده)، في البُعد الأوّل من مناقشاته لشُبهة الوَحي النَّفسي، لِما أجابَ به (محمد رشيد رضا) في كتاب "الوَحي المُحمَّدي" بالتَّفصيل عن هذه الشُّبهة، حيث تناول في كتابه أولاً المُقدِّمات العشرةَ التي رتَّبَها المُستشرقُ (إميل درمنغام - Emile Dermenghem)، ثمَّ أبطلَ كلَّ هذه المُقدِّمات؛ لأنَّ أكثر المُقدِّمات التي أخذوا منها هذه النَّتيجة هي آراءٌ مُتخيَّلةٌ، أو دَعاوى باطلة، لا قَضايا تاريخية ثابتة، وإذا بطلَت المُقدِّمات بطلَ لُزومُ النَّتيجة لها[2]، ومن ثَمَّ لخَّصَ (السيّد الحكيم) (قده) هذه المُقدِّماتِ والرُّدود، بالآتي:

- ما يَذكرونَهُ من تفاصيل ليس لها مصدرٌ تأريخيٌّ مُعتمَدٌ! من قبيل: مسألة لقاء الرَّاهب (بَحيرا) مع محمَّد ﷺ؛ وهو بصحبةِ عمِّه أبي طالب عليه السلام؛ وافتراضُهم فيها حصول محادثات دينيّة وفلسفيّة مُعقَّدة جرَت بينَهما!
- تَعليل اطِّلاعه على أخبار عاد وثمود، بأنَّه كان نتيجة مُروره بأرض الأحقاف، على الرّغم من أنَّ هذه الأرض لا تَقع على الطَّريق الاعتياديِّ لمرور القوافل التِّجارية، كما أنَّ التأريخ لم يَذكر لنا مُرورَ النبيِّ ﷺ بها، إلى غير ذلك من الأحداث والقضايا.
- افتراض تعلُّم النبيِّ ﷺ من نَصارى الشَّام وغيرِهم لا يَتَّفِقُ مع واقع الحيرة والتَّردُّد في

1 - الحكيم: علوم القرآن، ص154.

2 - انظر: محمد رشيد رضا: الوحي المحمَّديّ، ص.ص. 127-165.

موقف المُشركين من دعوة رسول الله ﷺ، ونسبته الرِّسالةَ إلى الوَحي الإلهيِّ؛ لأنَّ مثلَ هذه العلاقة – لو كانت مَوجودةً - لا يمُكِنُ التستُّر عليها أمام أعداء الدَّعوة من المُشركينَ وغيرِهم، الذين عاصَرُوهُ وعايَشوهُ في مجتمع ضيِّق، وعرفوا أخبارَهُ وخَبروا حياتَه العامّة؛ بما فيها من سَفرات ورَحلات.

- لم يُعرَف عن الرَّسول محمَّد ﷺ أنَّه كان يَنتظِرُ أن يُفاجَأ بالوَحي، أو يأملُ أن يكونَ هو الرَّسولَ المُنتَظَرَ، لِيَنموَ ويتطوَّرَ هذا الأملُ في نفسه، فيُصبِحَ واقعًا نفسيًّا، على الرّغم من تدوين كتب السِّيرة النبويّة لأدقِّ الأحداث والتَّفصيلات عن حياة الرَّسول الشَّخصيّة، ولعلَّ من القرائن التأريخية التي تَشهد بكذب هذا الافتراض: ما ذكرَتْه كتبُ السِّيرة من اضطرابِ النبيِّ -في البداية- وخوفِه حين فاجأهُ الوَحيُ في غار حراء[1].
- إنَّ هذه النَّظريةَ تَفرِضُ أن يكون إعلانُ النُّبوّة في اللَّحظة الأولى من الدَّعوى، وأن يَطرَح مفاهيمَه وأفكارَه ومناهجَه عن الكون والحياة والمجتمع بجوانبه المُتعدِّدة ودُفعةً واحدة؛ لأنَّ المفروض أنَّ الصُّورة كانَت مُتكاملةً عندَه؛ نتيجة التّفكير الطَّويل ودراسة الكُتب وأعمال الأنبياء ﷺ السَّابقين، مع أنَّ التأريخ يُؤكِّدُ أنَّ أسلوب الدَّعوة وطريقتَها كانا يَختلفان عن ذلك تمامًا[2].
- "ولو فُرض محالاً [تعلُّمُ النبيِّ ﷺ من أهل الكتاب] فما هذه المعارف والعلوم؟ ومن أين هذه الحِكَمُ والحَقائق؟ وممَّن هذه البَلاغة في البيان الذي خضعَتْ له الرِّقابُ وكلَّتْ

---

1 - مـا يُقصد من عدم المعرفة هو أصل عدم معرفته (ص) بالوحـي، وإنْ كانت بعض الروايات في المصادر الشـيعيّة تتحدَّث عن تمهيـدٍ للوحي قبل حصول الوحي النبويّ، وأنَّ النبيّ -سـواء بسـبب التمهيد أم غيره- لا يحصل عنده أيّ اضطرابٍ؛ ولكن هذا لا يعني أنَّه كان ينتظر الوحي ويتوقّعه؛ فالوحي ظاهرة روحيَّة تستتبع حالة من السـكينة والطمأنينة، وكان مهبطه قلب رسول الله (ص)، أي شخصيّته الباطنيَّة بواسطة الملك جبرائيل (ع) أو مـن دونه، ومن دون مصاحبة أيّ أعراض ممَّا تناقلها أهل السـنّة في كتبهم! فهذه الروايات والكتابات ولَّدت صورةً غير لائقةٍ بقداسة هذا الأمر العظيم وقدسيَّة الرسول (ص)، فقد وصفوا النبيّ حال الوحي بأوصافٍ توحي بأنَّه مصاب بمرضٍ أو حتى بالجنون أو أنَّه لم يعرف علامات النبوَّة إلَّا بعد استشارة السيِّدة خديجة ابن عمّها!

2 - الحكيم: علوم القرآن، ص.ص. 154-156 (بتصرّف).

دونَه الألسنُ الفِصاح؟"[1].

د - المحتوى الداخلي للظاهرة القرآنيّة يُناقض شُبهةَ "الوحي النَّفسي"

يَرى (السيّد الحكيم) (قده) في مناقشته لشُبهة "الوحي النَّفسي"، من خلال البُعد الثاني الذي ذكرَه، أنَّ للمحتوى الدَّاخلي للظَّاهرة القرآنيّة، وما تتَّصف به من مواصفات، ولِسَعة النَّظرية القرآنيّة وآفاقها المتعدِّدة ومجالاتها المُتشعِّبة، أهميةً كُبرى في رفض شبهة "الوحي النَّفسي"، إذ إنَّ هذه المُواصفات وهذا الاتِّساع والشُّمول لا يتَّفِقُ مع طبيعة المَصادر التي تَفرِضُها هذه الشُّبهة، ويتَّضحُ ذلك عندما نُلاحِظُ الأمورَ الآتية:

- أنَّ المَوقِفَ العامَّ للقرآن الكريم تُجاهَ الديانتَين اليَهوديّة والمَسيحيّة هو مَوقفُ المُصدِّق لَهما والمُهيمِن عَليهما، فقد صدَّقَ القرآنُ الكريم الأصلَ الإلهيَّ لهاتَين الديانتَين وارتباطَهما بالمَبدأ الأعلى، ولكنَّه في الوقت نفسه جاء مُهيمِنًا ورَقيبًا وحاكمًا على ما فيهما، ومُبيِّنًا لواقع ما وردَ عليهما من تَحريفات وبدَعٍ وضَلالات. وجاءَت هذه الرَّقابةُ دقيقةً شاملةً، فلم تترُكْ مَفهومًا أو حُكمًا أو حادثةً إلا وَضعَت المِقياسَ الصَّحيحَ له. ولا يُمكِنُ أن نتصوَّرَ النبيَّ محمَّدًا ﷺ وهو يأخذ عن أهل الكتاب، ويَراهُم قد أخذوا عن الوَحي الإلهيِّ، ومع ذلك يتمكَّنُ من أن يَصِفَهم بالجَهل والتَّحريف والتَّبديل بمِثلِ هذا اليَقين والثَّبات، ثمَّ يُوضِّحُ المَوقفَ الصَّحيحَ في المسائل الكُبرى التي اختلفوا فيها أو خالفوا الواقعَ الصَّحيحَ للديانة، ثم تأتي نظريّتُه بعد ذلك كاملةً شاملةً ودَقيقةً ليس فيها تناقُضٌ ولا اختلاف! ولكنَّ الحقيقةَ هي أنَّ النبيَّ محمَّدًا ﷺ لم يكن قد أخذ منهم شيئًا، وإنَّما تلقَّى كلَّ ذلك عن الوحي الإلهيِّ الذي جاء مُصدِّقًا لما سبقَه من الوحي ومُهيمِنًا عليه، ومُبيِّنًا للانحراف والتَّحريف الذي أصابَ الرِّسالاتِ السابقةَ عليه.
- نجد القرآنَ -أيضًا- يُخالِفُ التَّوراةَ والإنجيلَ في بعض الأحداث التأريخية، فيَذكرُها بدقّةٍ مُتناهية ويَتمسَّك بها بإصرار، في الوقت الذي كان بإمكانِه أن يَتجاهَلَ بعضَها

1 - الطباطبائيّ: الميزان في تفسير القرآن، ج1، ص63.

على الأقل، تفاديًا للاصطدام بالتَّوراة والإنجيل؛ ففي قصّة موسى ﷺ يُشير القرآن إلى أنَّ التي كفلَت موسى ﷺ هي امرأةُ فرعونَ، مع أنَّ سفر الخُروج من التَّوراة يؤكِّد أنَّها كانت ابنتَه. كما أنَّ القرآنَ يَذكرُ غرقَ فرعونَ بشكلٍ دقيق، ولا يَتجاهلُ حتَّى مسألةَ نجاة بدَن فرعونَ من الغَرق مع مَوته وهَلاكه: ﴿**فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ**﴾ [يونس: 92]. في الوقت الذي نجدُ التَّوراة تُشير إلى غَرَق فِرعونَ بشكلٍ مُبهَم، ويَتكرَّر الموقفُ نفسُه في قضيَّة العِجل، حيث تَذكر التَّوراةُ أنَّ الذي صنَعَه هو هارون، وفي قصَّة ولادة مريم للمسيح (عليهما السلام) وغيرهما من القضايا.

- سعة التَّشريع الإسلاميِّ وعمقه وشُموله للمجالات المختلفة من الحياة، مع دقَّة التَّفاصيل التي تناولَها، والانسجام الكبير بين هذه التَّفصيلات[1].

هـ- موقف النبيّ (ص) من الظَّاهرة القرآنيّة شاهدٌ على رفض شُبهة "الوَحي النَّفسي"

ويَستكمل (السيّد الحكيم) (قده) مناقشتَه ونقدَه لشُبهة الوَحي النَّفسيِّ، من خلال البُعد الثالث الذي تحدَّثَ عنه؛ وهو موقف النبيِّ محمدٍ ﷺ من الظَّاهرة القرآنيّة، الذي يَعدُّه من أفضل الشَّواهد على بُطلان شبهةِ الوحي النَّفسيِّ، حيث كان النبيُّ ﷺ يُدركُ بشكل واضح لا لَبسَ فيه ولا شكَّ ولا ارتيابَ خصوصَ الانفصالِ التَّامِّ بينَ ذاته المُتلقِّية للوَحي والذَّات الإلهية المُقدَّسة المُلقية له من أعلى على قلبِه ﷺ، ويُشير (السيّد الحكيم) (قده) إلى ثلاثة أشكال لهذا الشُّعور بالانفصال التامِّ، وهي:

الشَّكل الأوَّل: الصُّورة التي يَبدو فيها النبيُّ من خلال الظَّاهرة القرآنيّة عَبدًا ضعيفًا لله -سبحانه-، يَقف بين يدي مَولاه يَستمدُّ منه العَونَ، ويَطلبُ منه المَغفرة، ويَمتثلُ أوامرَه، ونواهيه، والأمثلةُ القرآنيّة على ذلك كثيرة؛ منها:

- يُصوِّر القرآنُ النبيَّ ﷺ في صورة الإنسان المُطيع الذي لا يَملكُ لنفسه شيئًا، ويَخاف ربَّه إنْ عَصاه، فيَلتزم الحدودَ التي وضعَها له، ويَرجو رحمتَه، وليس من شيء يأتيه إلّا

1 - الحكيم، علوم القرآن، ص. ص.156-158 (بتصرّف).

من ربِّه، فهو يَعترف بالعَجز المُطلَق تُجاهَ إرادة الله أو تَبديل حرف من القرآن؛ كما في قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ¤ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: 15–16]، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110]، ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 188]، ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 50]، ...

- ثمَّ يَزداد هذا الفَرقُ وُضوحًا بينَ ذات الله المُتكلِّم مُنزِل الوَحي وصفاته، وبينَ ذات رسوله المُخاطَب متلقِّي الوَحي وصفاته في الآيات التي يَعتب اللهُ فيها على نبيِّه، أو يُعلمُه فيها بعفوه عنه وغُفرانه؛ كقوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة: 43]، ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: 2]، ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ¤ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ¤ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: 73 – 75]، ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ¤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ¤ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ¤ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقَّة: 44 - 47]، ...

- ويَبدو لنا أيضًا من خلال الرِّوايات الشَّريفة أنَّ النبيَّ ﷺ كان كاملَ الوَعي للفَرق بينَ ذاته المأمورة وذات الله الآمِرة، وبوَعيه الكاملِ هذا كان النبيُّ ﷺ يُفرِّقُ بوضوح بين الوَحي الذي يَنزِلُ عليه وبين أحاديثه الخاصّة.

الشَّكل الثاني: يَبدو النبيُّ ﷺ في القرآن الكريم بمَظهَرِ الخائف من ضَياع بعض الآياتِ

القرآنيّة ونسيانها؛ وهذا الخوفُ كان يَدعوه إلى أن يَعجَلَ بقراءة القرآن، قبل أن يُقضى إليه وحيُه، ويأخذ بترديده ويجهد نفسَه وفكرَه من أجل ألاَّ يفوتَه شيءٌ من ذلك؛ كما في قوله تعالى: ﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ [طه: 114]، ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ¤ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ¤ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ¤ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾ [القيامة: 16-19].

الشَّكل الثالث: يَبدو النبيُّ ﷺ من خلال تأريخ نزول القرآن أنَّه كان مُقتنعًا بأنَّ التَّنزيل القرآنيَّ مَصحوبٌ بانمحاء إرادته الشَّخصية، وأنَّه مُنسلِخٌ عن الطَّبيعة البشرية حتى ما بقي له اختيارٌ فيما يُنزَّلُ إليه أو يَنقطعُ عنه، فقد يَتتابَعُ الوَحيُ ويَحمى حتى يَشعُرَ أنَّه يَكثر عليه، وقد يَفترُ عنه بل ويَنقطِعُ وهو يَشعر أنَّه أحوَجُ ما يكون إليه.

وبالنَّتيجة: حين نلتفتُ إلى هذه الأشكال الثَّلاثة بصُوَرِها المُختلفة، ونُضيف إليها البُعدَين الآخَرين السَّالفَين، لا يَبقى لدينا مجالٌ لأيِّ تَردُّد في شأن حقيقة الظَّاهرة القرآنيّة، وانفصالِها عن الذَّات المُحمَّديّة، وبُطلان الوَحي النَّفسيّ وما إليه من شُبهات قد تُثار[1].

خاتمة

شكَّل الوحيُ صلةَ وصلٍ بين الله -تعالى- وخلقه عبر أنبيائه ﷺ، كشَف لهم من خلاله عن المَعارف الإلهيّة والحَقائق الرَّبّانية اللازمة لرَفع الاختلاف بينَهم، وهدايتهم وإيصالِهم إلى سعادتهم وكمالِهم، وكان تلقِّي الوَحي الإلهيِّ من آحاد البَشر -وهُم الأنبياءُ ﷺ- بما يَمتلكُ الإنسانُ وراء ذاته المادّيّة الظَّاهرة من أبعادٍ أُخرى مَعنويّة باطنة، وهي الأبعاد التي من شأنها أن تُتيحَ له الارتباطَ بعالَمٍ مَعنويٍّ أعلى مُجرَّدٍ عن المادّة ولوازمِها. وأنَّ الوَحيَ إدراكٌ خاصٌّ مُختلفٌ عن سائر الإدراكات البشريّة المُشتركة بينَ كافّة أفراد البَشر، والمُتحصِّلة عن طريق الحسِّ أو العَقلِ أو الغَريزة أو الوجدان، يُوجِدُه اللهُ تعالى في مَن يَبلغُ مقامَ النُّبوة إيجادًا لا يَعتريه لَبْسٌ أو

1 - الحكيم: علوم القرآن، ص.ص. 154-165 (بتصرّف).

شكٌّ أو خطأ، ولا يَحتاجون فيه إلى إعمال نظرٍ أو توسُّلِ دَليلٍ، وقد انقطع هذا الاتِّصال الوحيانيُّ بعد رحيل خاتَمِ النبيِّينَ محمد ﷺ، مع استمرار الاتِّصال الغيبيِّ بين الإنسان وعالَمِ الغَيبِ عن طريق التَّحديث والإلهام.

لقد أجاد السيِّدُ الشَّهيد (محمد باقر الحكيم) (قده) طرحَ مباحثِ الوَحي طَرحًا جديرًا بالوُقوف عنده بالدِّراسة والتَّحليل والتَّقويم، والانطلاق منه نحو بحثِ مباحثَ أُخرى فتح آفاقًا للبَحث فيها، ولا سيَّما فيما يَرتبطُ بالشُّبهات المُثارة على الوَحي؛ وبالخصوص شُبهات المُستشرقين.

لائحة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.

2. ابن بابويه، محمد بن علي بن الحسين (الصدوق)، التوحيد، تصحيح وتعليق هاشم الحسيني الطهراني، لا. ط، قم المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، د. ت.

3. ـــــــــــــــــــــــــــ، كمال الدِّين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، لا ط.، قم المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، 1405 هـ.ق / 1363هـ.ش.

4. ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، لا ط.، بيروت، دار صادر، د.ت.

5. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب، تصحيح وشرح ومقابلة لجنة من أساتذة النجف الأشرف، لا ط.، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، 1376هـ.ق / 1956م.

6. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تح. عبد السلام هارون، لا. ط، مكتب الإعلام الإسلامي (أونلاين)، 1404هـ.ق.

7. الإربلي، علي، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، ط2، بيروت، دار الأضواء، 1405هـ.ق / 1985م.

8. الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تح. صفوان داوودي، قم المقدّسة، نشر طليعة النور؛ مطبعة سليمان زاده، 1427هـ.ق.

9. بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلاميَّة، تر. منير البعلبكي؛ نبيلة أمين فارس، لا. ط، بيروت، دار العلم للملايين، 1968م.

10. جورافسكي، أليكس، الإسلام والمسيحيَّة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، العدد 215، 1996م.

11. جولدتسيهر، إيجناس، العقيدة والشريعة في الإسلام، تر. محمَّد يوسف موسى؛ عبد العزيز عبد الحقّ؛ علي حسن عبد القادر، لا. ط، القاهرة، المركز القوميّ للترجمة، 2013م.

12. الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن، ط3، قم المقدّسة، مجمع الفكر الإسلامي؛ مؤسّسة الهادي، 1417هـ.ق.

13. رضا، محمَّد رشيد، الوحي المحمَّديّ، ط2، بيروت، دار الكتب العلميَّة، 1426هـ.ق / 2005م.

14. رضوان، عمر بن إبراهيم، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، لا ط.، الرياض، دار طيبة، لا. ت.

15. روحاني، محمود، المعجم الإحصائي لألفاظ القرآن الكريم، ط1، مشهد المقدّسة، مؤسّسة الآستانة الرضوية المقدّسة، 1372هـ.ق / 1987م.

16. سال، جرجس، مقالة في الإسلام، تر. هاشم العربيّ، ط1، لا م.، منشورات أسمار، ضمن سلسلة: الإسلام من منظور آخر، 2006م.

17. الصفّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات، تصحيح وتعليق وتقديم حسن كوچه باغي، لا ط.، طهران، منشورات الأعلمي؛ مطبعة الأحمدي، 1404هـ.ق / 1362هـ.ش.

18. الطباطبائي، محمد حسين، القرآن في الإسلام، تعريب أحمد وهبي، ط1، بيروت، دار الولاء، 1422هـ.ق/ 2001م.

19. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، لا ط، قم المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، لا. ت.

20. الطوسي، محمد بن الحسن، الأماليّ، تح. قسم الدراسات الإسلامية في مؤسّسة البعثة، ط1، قم المقدّسة، دار الثقافة، 1414هـ.ق.

21. العقيقي، نجيب، المستشرقون، لا. ط، القاهرة، دار المعارف، 1980م.

22. العلوي، الشريف الرضي، نهج البلاغة (الجامع لخطب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب(ع) ورسائله وحكمه)، شرح محمد عبده، ط1، قم المقدّسة، دار الذخائر؛ مطبعة النهضة، 1412هـ.ق / 1370هـ.ش.

23. كارليل، توماس، الأبطال، تر. محمَّد السباعي، ط3، المطبعة المصريَّة في الأزهر، 1930م.

24. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، ط4، طهران، دار الكتب الإسلامية؛ مطبعة حيدري، 1365هـ.ش.

25. بلير، جون سي، مصادر الإسلام بحث في مصادر وأركان الديانة المحمَّديَّة، تر. مالك مسلماني، لا. ط، لا م.، جمعيَّة الأدب المسيحيّ للهند، 1925م.

26. لوبون، جوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، لا. ط، لا م، دار الكتب المصريَّة، 2018م.

27. معرفة، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن، ط3، قم المقدّسة، مؤسّسة التمهيد؛ مطبعة ستاره، 1432هـ.ق / 2011م.

28. وات، وليم مونتجمري، محمَّد في المدينة، تر. شعبان بركات، لا. ط، صيدا، المكتبة العصريَّة، لا. ت.

29. ـــــــــــــــــــــــــــــــ، محمَّد في مكَّة، تر. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، لا. ط، القاهرة، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، 1994م.

30. ويلز، هـ.ج، معالم تاريخ الإنسانيَّة، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، ط3، القاهرة، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، لا. ت.